

تفسير ابن كثير

* إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ^ط وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ^ج وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ^ج
فَأَسْتَبْشِرُوا بِيَعِّكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ^ج وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

خبر تعالى أنه عاوض عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذ بذلوا في سبيله بالجنة ،
وهذا من فضله وكرمه وإحسانه ، فإنه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عباده
المطيعين له ؛ ولهذا قال الحسن البصري وقتادة : بايعهم والله فأغلى ثمنهم . وقال شمر
بن عطية : ما من مسلم إلا والله ، عز وجل ، في عنقه بيعة ، وفي بها أو مات عليها ، ثم
تلا هذه الآية . ولهذا يقال : من حمل في سبيل الله بايع الله ، أي : قبل هذا العقد ووفى
به . وقال محمد بن كعب القرظي وغيره : قال عبد الله بن رواحة ، رضي الله عنه ،
لرسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني ليلة العقبة - : اشترط لربك ولنفسك ما شئت !
فقال : " أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما
تمنعون منه أنفسكم وأموالكم " . قالوا : فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال : " الجنة " . قالوا :

ريح البيع ، لا نقيـل ولا نستقيـل ، فنزلت : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم

(الآية .وقوله : (يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) أي : سواء قتلوا أو قتلوا ، أو

اجتمع لهم هذا وهذا ، فقد وجبت لهم الجنة ؛ ولهذا جاء في الصحيحين : " وتكفل الله

لمن خرج في سبيله ، لا يخرجـه إلا جهاد في سبيلي ، وتصديق برسلي ، بأن توفاه أن

يدخله الجنة ، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه ، نائلا ما نال من أجر أو غنـيمة "

.وقوله : (وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن) تأكيد لهذا الوعد ، وإخبار بأنه

قد كتبه على نفسه الكريمة ، وأنزله على رسـله في كتبه الكبار ، وهي التوراة المنزلة على

موسى ، والإنجيل المنزل على عيسى ، والقرآن المنزل على محمد ، صلوات الله وسلامه

عليهم أجمعين .وقوله : (ومن أوفى بعـهده من الله) [أي : ولا واحد أعظم وفاء بما

عاهد عليه من الله] فإنه لا يخلف الميعاد ، وهذا كقوله تعالى : (ومن أصدق من الله

حديثا) [النساء : 87] (ومن أصدق من الله قيلا) [النساء : 122] ؛ ولهذا قال : (

فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) أي : فليستبشر من قام بمقتضى

هذا العقد ووفى بهذا العهد ، بالفوز العظيم ، والنعيم المقيم .